فاجنر

WAGNER

وتلخيص أوبرة « لوهنجرين »

أتاح لنا شاعر الفرنسية الموهوب ، المصري المتقف « بخيري بك » فرصة ثمينة مرّت كما تمرُّ على المرء اسعد اوقات حياته ، ساعة ان تحدَّث الى سامعيه وقارئي قدر أدبه عن موسيقى فاجنر في معهد الموسيقى الملكي. تحدث عن موسيقى هذا الفنان في نواحٍ متعددة تدل على انهُ جهد جهداً موفقاً في دراسة ادب فاجنر وفنه الموسيقي واوبراته . وما ظنك بشاعر يصرف من زهرة عمره اكثر من عشرين ربيعاً يدرس فيها حياة هذا العبقري العظيم ... فانت اذا سمعته وهو يتحدث عن فاجنر لا تنصرف عنهُ الا وانت ثقة تامة تحت تأثير العاطفة والشعور الموسيقيين بأن هذا المصري طُبع بروح فاجنر نفسه فتحدث الينا عن موسيقاهُ وفنه وعن أدبه واوبراته في ليلة من الليالي المعدودة في العمر

ولد ولهلم رتشرد فاجنر المؤلف الموسيقي العظيم في مدينة ليبزج عام ١٨١٣ ومات عام ١٨٨٣ رجلاً تمثلت فيه العصامية والاعتماد على النفس . درس الموسيقى في الملم وإصهاب هيثما له كرسي الاستاذية في مسرح فرزبرج حيث كان مشرفاً على الموسيقى وما يتصل بها . ولقد ذهب الى باريس عام (١٨٣٩) حيث قضى فترة من عمره الى سنة (١٨٤٢) ومن ثمَّ رحل الى درسدن حيث عين استاذاً ايضاً للموسيقى . ولقد حدث ان نفي من المانيا عقب ذلك للاحوال السياسية الخاصة بثورة (١٨٤٩) فزح الى سويسرا وصرف فيها اثني عشر عاماً متنقلاً منها الى انكلترا وايطاليا وفرنسا . ولقد مضى من سنة (١٨٦١) الى سنة (١٨٦٤) فيما بين فينا وميز مجدّاً في سبيل رزقه الى ان ظفر بترتب مستديم نفحهُ به « لدفيج الثاني » ملك بافريا

« جميع ملحنات النغم دانت لارادته . فكان اميراً للاطان الصاخبة وقد انبثت من موج البحر بارقاته العجيب . بها يأمر انسياوات الى ارعدي او الخلدي الى السكون . كان يحس بالموسيقى الكامنة في كل من الجزئيات ، ويسمع كل همهمة عن همسات النسيم في الاشجار . بالحبة والبغض ، بالفرح والحزن والنشوة ، كان يجمها في القلوب نار او يجمها جمداً . فاذا جاء يوم في المستقبل البعيد ، واستشرف الناس الماضي الثاير المجيد ، للبحث عن امارات الخلود فلوا : « انه كان فنيح وحده . ان سحر نباته الخيّة تتردد اليلة اصداؤها في درب الزمان فتدخل الطمأنينة على السكان في عقود الثريا »

(لنك عن فريدريك نيتشه)

وظل مقيماً في سويسرا الى عام ١٨٧٢ وبعدها نقل الى « بايرويت » Baireuth حيث امضى الشطر الاخير من حياته وقضى نحبه في مدينة البندقية في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣. ولقد تزوج فاجنر في حياته مرتين. الاولى من « ميابلاور » والثانية من « كوزما فون بيلو » ابنة الموسيقار ليست

***

اشتهر فاجنر «باوبراته» الموسيقية فألف منها ما يُعَدُّ الى الآن في اوربا نوعاً فريداً من الانواع الحية الفتانة. « اوبرانه » فيها عبقرية موسيقية يقبل عليها عشاق فاجنر من الجمهور المستمع فضلاً عن أئمة الفن والنقد. يكفي ان يقال فيها انها موسيقى رجل نبت عصامياً وعاش لفنه وفي سبيله هائماً من بلد الى بلد كالطائر الطريد العدّاح !! ومن سوء حظه ان استعدى عليه خصومه اصحاب القوة ففني من وطنه وظل مشرّداً الى ان ضمهُ مليك بافريا فتمرّد ايضاً على الحياة لانها عنده لاشيء .. ولان الجمال الروحي في عاطفته فطري يغذيه

تلك هي الشاعرية الطريدة التي تعيش لنفسها وتعمل للناس تسمو بالحياة الى المعاني العالية الرفيعة .. تلك الشخصية الفذة العظيمة لا ترفعها الحياة بل تنازلها. تصارعها الشدائد فتخرج اصلب عوداً. وتعجمها الحوادث والمحن لتعود أكبر نفساً واقوى مراساً

استطاع فاجنر في حياته الفنية ان يهذّب من فن الاوبرا فأودع فيها من التجديد ووسائله ومن السبك والوانه ما جعل لها قيمة جدية في عالم البقاء. فقد ضمن للاوبرا القوة التي نفسها في القصة التمثيلية التي لا يستطيع الانسان هضمها واساغتها بغير الموسيقى. والروح الموسيقي الذي يكوّن الاوبرا في مذهب فاجنر وتدور عليه الحوادث نفسها مبعث القوة والنهوض فيستثير كوامن النفس ويلهب منها العواطف والاحاسيس. ويفسر فاجنر مذهبه الموسيقي باكتساب الحركات والحوادث لباس الروح العاطفي الذي لا يستطيع الكاتب او الشاعر ان يبرزه في شيء من التأثير كما يوفق الى ذلك الموسيقي الملهم. الموسيقي الشاعر بفطرته. الموسيقي الروحي الذي تلهمهُ الانسانية المعذبة رسالة الألم وعبارة الرجاء ..

واشهر اوبرات فاجنر التي اعدّت للتمثيل وشهدتها معظم مسارح اوربا هي « داي فين » سنة ١٨٣٣ و« داي ليبسفربرت » ولم يتمثلا حتى وفاته. ولقد مثل في حياته الاوبرات « طان هوسر » سنة ١٨٤٥ و« خاتمة النيلنجين » و« داي ريئنجولد » و« فلكيري » و « سيجفريد » و« غسق الآلهة » و « الهولندي الطائر » ولقد بدأ تأليفها حوالي عام ١٨٥٠ وراجعها كلها عام ١٨٦٩ واتمها سنة ١٨٧٥. وشهدت دار الاوبرا العظيمة في مدينة « بايرويت » « خاتمة النيلنجين » واوبراته الاخيرة ومنها « لوهجرين » و « پارسيفال » التي تعد من اقوى ما ألفه فاجنر في الادب والموسيقى

واني اقدم هنا تلخيص «اوبرته » لوهجرين التي أحرزت نجاحاً كبيراً قلما يعدلهُ نجاح آخر والتي بهرت كبار رجال الفن واعجب بها كثير من النقاد

أوبرة « لوهجرين »

تعتبر لوهجرين من اقوى ابرات فاجنر التمثيلية . ويكفي ان يكون واضعها تمثيلاً وموسيقى فاجنر فقد لا يوجد صبي في المانيا لا يعرف اغنية « كوكب الدجاجة » عند ما يدفع لوهجرين الاوزة . . . وقد استقى فاجنر اوبرته من النصوص القديمة التي تحدثنا عن مصير لوهجرين البطل القاتل وحارس « السر الاعظم »

في هذه القصة صراع عنيف بين الحق والباطل وبين القوة والقانون وفيها صراع عنيف ايضاً بين حب الخطيبة وشهوة الزوجة . فيها اتهام يلقى على النفس الشريفة كاقوى ما يكون الاتهام . وفيها من الالم ما يمس صميم النفوس الكبيرة فيكاد يقضي على موضع العزة فيها والشرف . . . فيها صراع قوي بين الزوج والزوجة . . . وما رأيك في زوج نبيل يذهب ضحية زوجة مفتونة بسحرها تتعمل السحر للايذاء والشر فتغير من الصور الانسانية في سبيل شهوتها واثرتها . . كثير على زوج ان يتحمل الماً وتضحية في سبيل امرأة تسحر من الزوجية في سبيل ثأر تناله ومأرب وضيع تصبو اليه نفسها ولكن هي المرأة وكفى . . .

***

نحن بجوار « انتورب » حيث يستعرض هنريك فوجلر ملك المانيا جيوشه الجرارة امام سكان مقاطعة « برابانت » ليدرأ اعداءه الغزاة الهنجاريين . فيجد الملك الناس في هرج ومرج فيتفهم هذا فيعلم ان الكونت فريدرك تيلرامند يتهم إلزا صاحبة برابانت بقتل اخيها الصغير « جود فري » وارث دوق برابانت الذي توفي قبل امد قصير تاركاً اطفاله لعناية « تيلرامند » ولقد كانت إلزا خطيبة تيلرامند ولكنهُ تزوج « اورترد » صاحبة فريزلند . وكان يطالب بحقه في وراثة دوقية برابانت

تعلن إلزا برائتها من قتل اخيها لانها لا تعلم عن امره شيئاً . فكل ما تذكره انهُ اختطف اثنا نومها فاذا عرض الامر على الملك اصدر قراراً خواه ان يترك شأن هذا الحادث للعناية الالهية دون غيرها لتصدر فيه ما تراه . ولكن تيلرامند لوثوقه من حقه يرى ان يعلن استعداده لمبارزة من يرى الدفاع عن إلزا . فأما ابطال برابانت وعظماؤها فيرفضون طلبه ولا يقبلون عليه حتى الملك نفسه الذي يعتقد في براءة إلزا . ولكن ابطال برابانت والملك ايضاً يعتقدون ايضاً أن الحق يبدو في جانب هذا الرجل المعدود في طليعة الابطال

تلتزم إلزا الهدوء وتتضرع الى السماء حتى اذا اقبل الليل واستلقت في مخدعها تخيلت ذلك البطل الالهي المرسل من السماء يحملها رسالة الدفاع والذود عنها . وأما هي فقد تتحدث الى نفسها في الصباح عن تلك الرؤيا الجميلة . وتعلن في غير ما تردد أو تهيب بأنه اذا تحقق لها هذا

الخيال فهي لا تتوانى ان تمنحه يدها وأملاكها . فأما هي فتكثر من هذا الحديث وتبتهج لروعة هذا النظر وان هي الا لحظة حتى ترى فارساً يتمنطق بالدرع ويرتدي لباساً فضياً لامعاً لا تكاد العين تنصرف عن رؤيته لجماله وتأثيره . يركب فارساً مسطحاً لسيره في الماء « اوزة » جميلة اللون شائقة المنظر . . حتى اذا انتهى الى الساحل ودّع الفارس والاوزة واتجه الى قصر إلزا فتقبل عليه محييه . . وتعلم فيما بينها وبين نفسها ان هذا هو البطل الذي تخيلته في حلمها . أما هو فيسر اليها انه سيذود عنها ما امكنه الذود . على ان تكون له زوجة وان لا تفكر من اين هبط عليها او ان تفكر في اصله . . تقبل إلزا هذا في غير عسر او مشقة . ويبدأ الصراع بين الفارس وتيلرامند فيفوز الفارس على خصمه فوزاً مبيناً ولا يفكر في قتل تيلرامند بل يهبه حياته التي في متناول يده والتي كانت ستطوح بآمال زوجته « اورترد »

***

أما « أورترد » فكانت ساحرة وفقت الى ان تخدع زوجها الذي يؤمن الايمان كله بقتل « جود فري » بينما هي اختطفت الطفل ولم يدر بها احد . بل استطاعت ان تهزأ بعقل زوجها بما لم يكن يتوقعه احد

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في قصر « ديكال » حيث تعد معدات الزواج الذي اغتبط له قوم واستاء منه آخرون . أما إلزا فسعيدة بهذا الزواج يحدوها فيه الامل ويدفعها اليه الرجاء . وأما « اورترد » فتبرمة به يدفعها الغيظ لتقف في طريقه . وأما زوجها فحانق عليها لانها كانت الباعث في امر هزيمته . وهو هذا العظيم القوي أمام قومه ! يتحدث اليها في شيء من الالم والتأثر وتجيبه في شيء من الهدوء وفي غير مبالاة حتى يتهمها بأنها سبب هزيمته وانها لا تأبه لشرفه المثلوم فتجيبه في شيء من الهدوء وقلة الاكتراث عما تصنع وما حيلتها في الجناء ! يتحرج الموقف بينهما فتسرع الى ابتسامة متكلفة وتعلله بأنها ستعمل على فض الزواج بأية سبيل . . . فتلجأ الى إلزا لتقول لها كيف يتم لها زواجها بشخص لا تعلم شيئاً من امره بل ولا تعلم اسمه . حتى اذا قنعت إلزا بهذا أخفق الزواج وهي كساحرة تعلم العلم كله بأن قوة هذا الفارس ستفنى اذا اصطدم بهذا الحديث الذي تحمله اليه إلزا

تقف إلزا في نافذة قصرها الفخم تستعرض جمال الطبيعة . . وتشكر الله القدير . . . وتنصت فتسمع الى نداء حزين هو نداء منكوب او خائر القوى . . لا يكاد يقوى على الحديث . . . إلزا . . . فتجيب بعد ان يخفق قلبها تأثراً وألماً . . وتبحث عن المنادي فاذا به « اورترد » تبكي بين يديها . تستعطف إلزا في شيء من الرفق والاخلاص . هي ترى ان إلزا ستكون ضحية لطيبة قلبها وتسليمها امرها لهذا المستقبل المجهول . . واذن فإلزا متأثرة بهذا الشعور . . وهنا يتناول الشك موضعه في قلب إلزا . . والآن فقد احتشد الناس في الكنيسة في الصباح المبكر ليشهدوا

عرس إلزا العظيم وقد اقبلت إلزا لتأخذ مكانها بجانب زوجها . . . فتندفع اورتّرد بين الصفوف لتذكر إلزا بما سبق ان اسرّت به اليها . ويتسابق تيلرامند الى الفارس الغريب ليتّهمهُ . . . ولا يتظاهر بهذا حتى يندفع الى الوراء بتدفق الجماهير . . . وإلزا تصرح « لأورتّرد » بأن رسالتها في النصح جاءت متأخرة . ولكن الشك يزداد والامل في مستقبلها السعيد يصبح ضعيفاً . . هي مستسلمة اذن لحديث « اورتّرد » ولكنها تدفع عن زوجها ما يكاد يلم به من امر تيلرامند وتلجأ اليهِ ان يحمي نفسه ويحميها . . . ولكنهُ يصر على ان يتركها وشأنها . . . ويتقدم تيلرامند الى الملك يستعطفه في ان يعلم اسم هذا الغريب ويسأل عن شأنه . . ولكن لوهجرين — الفارس — يرفض ذلك الاّ اذا صدر السؤال عن زوجته . . . ولكن إلزا تمتنع مع ما بها من شك ان تسأله

*

نحن الآن في الفصل الثالث حيث يقيم الزوجان في قصر إلزا . . يرفرف عليهما طائر الفرح . . ولكن قلب إلزا لم يزل كما هو . . . فيه شك وفيه ألم . . . بل فيه خوف وفيه اضطراب . . . الم تودع فيه «أورتّرد» هذه العواطف كلها . . . تصرح إلزا في غير تردد بأن مصيرها مجهول . والواجب يدعو زوجها ان يخفف من غلوائه فيذكر لها موقفها اذا تركها وذهب الى طريقه بل وعاد الى مهمته . وبينما هما في هذا الحديث يشعر بأن تيلرامند مقبل لقتله غيلةً . فيفلت منهُ ويطعنهُ طعنة نجلاء . . تردية قتيلاً . . . وأما هو فيأخذ زوجته الى ساحة الملك ليطلعهُ على حقيقة أمره . . . وعن رسالته . . . . ومن هو . . أما السر فهو انهُ حارس السر الاعظم وخليفة « پارسيفال » . والسر الاعظم هو « دم المسيح المحفوظ » الذي يحرسه الفرسان بالوراثة في القصر الاعظم . . على الجبل الاعلى . . . والآن لا يسعهُ اذ قد باح بهذا السر الخطير ان يقيم وزوجتهُ بل يعود من حيث اتى . . وانظر اليهِ فقد تلفت الى امامه فوجد الأوزة قد اقبلت نحوه فيأخذ من عنقها سواراً صغيراً ذهبيًّا يمنحه الى الزا ويعطيها كذلك درعه وسيفه . . لكي تدفع بهما كل عداء وكفاها ما فيهما من سر . . .

يهم الفارس بأن يذهب فيستمع الى اورتّرد بأنها هي التي سحرت الطفل فصنعت منهُ اوزة وانهُ كان في مقدوره ان يعيد الطفل الى كيانه الاول لو لم تسرع إلزا بسؤاله عن حقيقة امره . . . يستمع لوهجرين هذا في ألم . فيرفع وجههُ الى السماء ويصلي بقوة طالباً نجدة الطفل . . . ويتقدم اليهِ واضعاً الذهب في عنق الاوزة . . فيختفي الطائر الى حيث الماء لحظة ثم يعود حاملاً به « جودفري » نفسه قد رجع . . واذا وارث عرش برابانت قد اقبل . . . واذا الفارس يذهب الى قاربه في الماء وقد أقبلت حمامة من السماء تدفع القارب . . . واذا لوهجرين قد ابتعد عن الشاطئ وغاب عن الانظار . . واما إلزا فقد قامت تضم اخاها لها . . . وخرجت اورتّرد حسيرة النفس يائسة »

حليم متري